الفصل الحادي والثلاثون

الرحلة العلمية في معبد رمسيس الثالث

ثم ننتقل إلى مدينة أبو أوهبو وهي التي يراها الزائرون على البعد متى وصلوا الى الشاطئ الغربي من النيل فتظهر لهم جهة الجنوب كأنها تل أسود به قطع من المباني المهدومة التي تكلست من الحريق وصارت صفراء ذهبية اللون وجميع ذلك عبارة عن أطلال المدينة القبطية التي كانت تتحول معبد رمسيس الثالث عند سقوط دين الجاهلية بمصر وهى مشهورة بآثارها العجيبة وأهم مابها معبدان أحدهما يعرف باسم طوطوميس وتيجان أساطينه لها شكل الأزهار وكلها قائمة في الرحبة الأولى منه ويظهر من حالة نقشه وإنحطاط درجة خطه أن مدخله وأبراجه الناقصة بنيت في زمن الرومان فضلاً عن أنا ترى في رحبته اسم طيطوس قيصر وأدريانوس قيصر وانطونيوس قيصر أمبراطرة رومة

أما إحدى جهتي الباب الذي بوسط هذين البرجين فبنيت في زمن بطليموس لاطيروس) أي الأرقط (والثاني في زمن بطليموس أوليطيس) أي الزامر (ثم نرى بعد ذلك حوشاً صغيراً وفي آخره برج لطيف الهندام عليه اسم طهراقة الأتيوبي) من العائلة الخامسة والعشرين (ثم الملك نقطنبو الثاني)آخر من حكم من الفراعنة وهو من العائلة الثلاثين (وليس هما البانين له وإنما وضعا إسمهما ظلماً بلاحق على مابناه غيرهما من الملوك .وترى بطليموس لاطيروس) الأرقط (إختلس أسم قطنبو الذي كان اختلس إسم طهراقه ونسبه لنفسه.

ومتى جاوز الإنسان هذا المكان صار في المعبد الأصلى وعليه اسم طوطوميس الأول أما إسم طوطوميس الثالث فشائع على أغلب جدرانه ومن ذلك تعلم أنه إشتمل على جملة أسماء ملوك تعاقبوا على تخت الديار المصرية في أزمان مختلفة حتى أنك ترى عليه اسم بطليوس فسكون) أي البطين وهو الثامن من ملوك البطالسة (وبذلك صار أمر هذا المعبد غريباً لأن عوامل الإختلاس كانت تتجاذبه في كل حين وربما أتي له ذلك من التصليحات أو الترميمات التي أعترته مدة هؤلاء الملوك في تلك الأزمان الطويلة أما الغرض بنائه فمجهول إلى الآن.

ثم نتحول إلى معبد رمسيس الثالث وهو أحد المباني الفرعونية العجيبة التي سمعت بها مصر

مدة عنفوان شبابها وقد إشتهر صيته وطارت عنه لضخامة مبناه وهيئة مجموع أماكنه وأهمية ما به من التواريخ المصرية وأسلوب كتابته وزينة نقوشه وتنوّع لوحاته بحيث أن الزائرين لا يخرجون منه إلا و هم في دهشة مارأوه به من لطفه وغرابته وهو قسمان يفصلهما حوش كبير.

القسم الاول ويعرف عند علماء الآثار بأسم سراي رمسيس الثالث وهو ما يقابل الزائرين عند دخولهم من الباب ويظهر من حاله أنه كان مسكناً ملوكياً وهو عبارة عن برجين مربعين وجدرهما الأربعة مائلة على بعضها بالهندام نحو المركز العام وشبابيكهما محاطة من الخارج بزينة خاصة غريبة سيما الجهة الشمالية أما تفاصيل هذه السراى جديرة بإمعان النظر في الدور الأعلى رفارف تحملها أسارى من الحجر مبطوحون أي مطروحون على بطونهم كانت معدة لتثبيت أطراف القماش الذي كانوا ينشرونه ليستر مجاز.

المدخل وبقى وجهة الباب الشرقية من الشمس وفي بعض الأروقة الداخلة رسم خاص وهو صورة رمسيس الثالث جالس في منزله بين عائلته وواحدة من بناته تقدم له باقة من الأزهار وكأنه يلعب الضامة مع الثانية ويأخذ فاكهة من الثالثة وهو يلاطفها ويشكرها على ذلك ومن نظر إلى ما هناك من الرسم أيقن أن هذا الملك كان عالماً بالتواريخ معتنياً بالرسم والتصوير فإنه حمل نفسه في أول المدخل كغالب منصور يقود الأسارى ويقدمهم إلى معبوداته والعجب كل العجب من المصور الذي أعطى وجه كل أسير هيئة جنسه بعدما قسمهم إلى قسمين فجعل أسارى الجنوب أي بلادى أثيوبيا وليبيا على الجهة الجنوبية من المدخل وجعل أسارى الشمال على الجهة الشمالية منه وكل واحد منهم جاث على ركبتيه ويداه موثوقتان من خلفه وأساري الجنوب هم

١ (رئيس بلاد كوش الحقيرة) مرسوم في هيئة العبد مع أن هيئة هذه الأمة تقرب منهيئة المصريين ولا يعلم السبب الذي أوجب هذا التغيير في أصل خلقته.

٢ هدم بالحائط.

٣ هدم بالحائط أيضاً ويظهر من بقايا الرسم أن الأسارى كانوا من بلاد كوش أيضاً.

٤ (رئيس بلاد ليبو) وله لحية دقيقة من أسفلها وذآبة شعره مرسله على أذنه وهو رئيس بلاد لبيا الواقعة غرب مصر.

٥ (رئيس بلاد تورس) وسكانها من جنس الكوشيين أي قنى الأنوف ولثيابهم هداب مرسل.

٦ (رئيس المشواشيين) وهو ضخم الوجه كبيره وقومه قسم عظيم من الليبيين كانوا يسكنون سواحل إفريقا الشمالية.

٧ رئيس بلاد تروا.

أما أساري الشمال المرسومون على الجهة الشمالية من مدخل السمراي فهم

١ (رئيس أمة الخيتاس الحقيرة أخذ أسيراً بالحياة) ووجهه ممتلئ باللحم ليس له لحية وفي أذنيه أقراط كبيرة وعلى رأسه قلنسوة كابسة ينزل منها نحو طيلسان على ظهره وكانت هذه الأمة تسكن جهة الشام من قسم أسيا بالقرب من نهر (أورنتو).

٢ (رئيس بلاد أمرو الحقيرة) ووجهه مستطيل ولحيته دقيقة وهو ملك العموريين الذين كانوا يسكنون الشاطىء الغربي من بحيرة لوط أو البحر الميت.

٣ (رئيس بلاد تكاري) وكان قومه يسكنون بقرب بلاد الشركس ولما هزمهم رمسيس الثالث إنضموا مع المنهزمين وطلب الجميع أن يسكنوا الناحية الغربية من حدود مصر فصرح لهم الملك بذلك وقد ذكر بطليموس الجغرافي جميع هؤلاء القبائل في أحد مؤلفاته.

٤ (رئيس بلاد الشرتنه الواقعة على ساحل البحر) وذكرهم بطليموس باسم خرتني ويظهر أنهم سكان بلاد سلسيا ببر الأناطولي بقسم أسيا على شاطئ البحر الأبيض المتوسط في شمال خليج إسكندرونه الآن.

٥ (رئيس أمة شازو) وكانت معروفة من قديم عند المصريين ومذكورة في تواريخهم وكانت تسكن الصحراء الممتدة بجوار برزخ السويس وتعرف في التوراة باسم الأيدوميين.

٦ (أمة الطورشا الساكنة على البحر) وقال بعضهم أن هذه الأمة كانت تسكن بجوار جبل الطروس (جبل الجودي) ما يلي ساحل البحر.

٧ (رئيس أمة البو) أو البوزاتا وقال بعضهم أنهم أمة البلسج (أصل سكان بلاد اليونان) وظن غيرهم أنهم أمة الفلسطين (هي أمة كانت تسكن أسيا الصغرى) وهي فرع من أمة البلسج أتت من جزيرة كريت ثم توطنت بعد ذلك ما بين البحر الأبيض المتوسط وبلاد الشام وكان من مدنها غزة وعسقلان وأشدود وغيرها.

فمن ذلك يؤخذ أن مصر في زمن رمسيس الثالث حاربت في آن واحد جميع هؤلاء الأقوام

وهم الكوشيون بأقسامهم وكانوا هجموا عليها من جهة الجنوب ثم الليبيون بأقسامهم وكانوا هجموا عليها من جهة الغرب شمال الخيتاس (الهيثيون) والترويون والعموريون والتكاريون والشرتنه والسازو وكلهم هجموا من جهة الشمال والشرق وجيعهم هجموا عليها من البر ثم الطورشا والبرزا وكانا هجما عليها من البحر بمعنى أن مصر حاربت في عصر هذا الملك النبيل السودان والمغرب والحجاز والشام وبر الأناطولي وسكان سواحل البحر المتوسط وقهرتهم جميعاً في آن واحد وكبحت طمعهم فعادوا بالخيبة والنكال لم ينالوا منها خيراً بعدما أسرت رؤساءهم وسلوكهم وغنمت جميع ما كان معهم حتى نساءهم وأولادهم ولو كان هؤلاء الأحزاب يتحزبون الآن على أعظم دولة لا وقعوا بها الدمار ولكن الله يقلب الليل والنهار ولا يقع في ملكه إلا ما يريد. ويستنتج من هذه العمارة ومن هذا الرسم سؤال مهم وهو هل كانت هذه السراي دقيقة مسكناً لهذا الملك وهل كانت جميع السرايات الملوكية مبنية على هذا النمط وهل كان لكل معبد سراي مبني بالحجر المنحوت كالمعبد نفسه ومنقوش بالكتابة متله فإن قلنا بالإيجاب لزم أن يكون بمصر جملة سرايات ملوكية كهذه مع أن الأمر بخلاف لأننا لم نجد لغيرها أدنى أثر في جميع أرض مصر وعلى ذلك لا يمكننا حل هذا الإشكال لأننا كلما حاولنا فكه إزداد خفاء سيما وقد علمنا أن الملوك ما كانت تسكن بالمعابد والغالب على الظن أن هذا المكان ما كان مسكناً لهذا الملاك ولا لغيره من الملوك.

وبالتأمل في وضعه وإنفراده بالقرب من الصحراء وهندسة بنائه يصبو الإنسان إلى القول بأن الغرض الوحيد منه هو بناء هذه الأبراج التي تعرف باسم أبراج النصر لأن ما عليها من الكتابة والنقوش موجود نظيره على جميع الأبراج بالأقصر والكرنك والرمسيوم وأن الملوك ما شيدوها على حدود المدينة إلا لتكون حصوناً أو قلاعاً ومعاقل للدفاع وقت الحرب كما تكون أثراً ضامناً لتخليد نصراتهم على أعدائهم وعلى ذلك تكون هذه الحصون آثاراً حربية للملوك أرباب الغزو لا آثاراً مدنية ومما يقوى هذا القول هوأننا نرى على السور العام وبرج السراي شراريف نشعر بأن هذا المكان كان حصناً يتترس الجند بشراريفه وقت مهاجمة الأعداء والله أعلم بحقيقة حاله.